صفات الحب وأغراضه

الحب ما هو؟

قال أبو بكر الوراق: سأل المأمون عبد الله بن طاهر ذا الرياستين عن الحب ما هو؟ فقال: يا أمير المؤمنين، إذا تقادحت جواهر النفوس المتقاطعة بوصل المشاكلة، انبعثت منهما لمحة نور تستضيء بها بواطن الأعضاء، فتتحرك لإشراقها طبائع الحياة، فيصور من ذلك خُلُقٌ حاصرٌ للنفس متصل بخواطرها يسمى الحب.

وسُئل حماد الراوية عن الحب ما هو؟ فقال: الحب شجرة أصلها الفكر، وعروقها الذكر، وأغصانها السهر، وأوراقها الأسقام، وثمرتها المنية.

وقال معاذ بن سهل: الحب أصعب ما رُكب، وأسكرُ ما شُرِبَ، وأقطعُ ما لُقِيَ، وأحلى ما أشتهي، وأوجه ما بطن، وأشهى ما علن. وهو كما قال الشاعر:

وللحب آفاتٌ إذا هي صرحت ... تبدت علاماتٌ لها غُررٌ صُفرُ
فباطنه سُقمٌ وظاهره جوًى ... وأوله ذِكرٌ وآخره فِكْرُ

وقال بشار العقيلي:

هل تعلمين وراء الحب منزلة ... تدني إليك فإن الحب أقصاني

وقال غيره:

أحبك حُبًّا لو تُحبين مثله أصابك من وجدٍ عليّ جنون
لطيفًا من الأحشاء أما نهاره فدمعٌ وأما ليله فأنينُ

وقال الفقيه الفيلسوف أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، في كتاب طوق الحمامة في الألفة والألاف: الحب أوله هزلٌ وآخره جدٌّ. دقت معانيه - لجلالتها- عن أن توصف فلا تدرك حقيقتها إلا بالمعاناة، وليس بمنكر في الديانة، ولا بمحظور في الشريعة، إذ القلوب بيد الله عز وجل.

وقد أحب من الخلفاء المهديين والأئمة الراشدين كثير.

وأفتى ابن عباس بأن قتيل الحب لا دية له. والحب اتصالٌ بين أجزاء النفوس. وقال الله عز وجل: {هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها}.

وللحب علاماتٌ منها: إدمان النظر إلى المحبوب والإقبال بالحديث إليه، والإنصات إلى حديثه، وتصديقه وإن كذب، وموافقته وإن ظلم، والشهادة له وإن جار.

ومن أفضل ما يأتيه الإنسان في حبه: التعفف، وترك ركوب المعصية والفاحشة.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«سبعةٌ يُظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمامٌ عادلٌ، وشابٌّ نشأ في طاعة الله** عز وجل، ورجلٌ قلبه مُعلقٌ بالمسجد إذا خرج منه لا يلبث حتى يعود إليه،

ورجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا، ورجلٌ ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه، ورجلٌ تصدق فأخفى حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه».

الحب والمحبوب[1]:

قولهم: أحببت حبًّا: الحب ليس بمصدر لأحببت، إنما هو عبارة عن الشغل بالمحبوب، ولذلك جاء على وزنه مضموم الأول ومن ثم جُمع كما يجمع الشغل، قال:

ثلاثــة أحبــاب فحــب علاقــة وحــب لخــلان وحــبٌّ هــو القتــل

وكلما كان الفعل أعم وأشيع، لم يكن لذكر مصدره معنى، ولولا كشف الشاعر لاختلاف أنواع الحب ما كدنا نعرف ما فيه من العموم وأنه في معنى الشغل كما تقدم.

وقد أنشدوا في الصحاح بيتين هما:

أحــبُّ أبــا مــروان مــن أجــل تمــره وأعلــمُ أن الحــب بــالمرء أرفــقُ
ووالله لــــولا تمــــره مــــا حببتــــه وكــان عيــاضٌ منــه أدنــى ومُــشرقُ

ولما جاءوا إلى إسم الفاعل أتوا بالاسم الرباعي حتى كأنهم لم ينطقوا بالثلاثي فقالوا: محبٌّ ولم يقولوا: حابٌّ أصلًا، وجاءوا إلى المفعول فأتوا به من الفعل الثلاثي -في الأكثر- فقالوا: محبوب، ولم يقولوا: محبٌّ إلا نادرًا كما قال:

ولقــد نزلــت فــلا تظنــي غــيره منــي بمنزلــة المحــب المكــرم

(١) بدائع الفوائد ص٨٥.

فهذا من: أحببت، كما أن المحبوب من: حببتُ، ثم استعملوا لفظ الحبيب في المحبوب، أكثر من استعمالهم إياه في المحب، مع أنه يطلق عليهما.

فمن مجيئه بمعنى المفعول قول ابن الدمينة:

وإن الكثيب الفرد من جانب الحمى إليَّ وإن لم آتــــه لحبيـــــبُ

أي: لمحبوب. ومن مجيئه للفاعل قول المجنون:

أتهجــر لــيلى بــالفراق حبيبهــا ومــا كــل نفــس بــالفراق تطيــبُ

فهذا بمعنى: محبها. وربما قالوا للحبيب: حِبٌّ: مثل خدن، فخِدنٌ وخدينٌ مثل: حب وحبيب. وإذا ثبت هذا فقوله: الحب ليس بمصدر لأحببت، إنما هو عبارة عن الشغل بالمحبوب، وأجروه على الفعل الرباعي استغناء عن مصدره، وهذا لكثرة ولوع أنفسهم بالحب وألسنتهم به، فاستعملوا منه أحب المصدرين استغناء به عن أثقلهما.

فلما كان المحب ملازمًا لذكر محبوبه، ثابت القلب على حبه، مقيمًا عليه لا يروم عنه انتقالًا، ولا يبغي عنه زوالًا، اتخذ له في سويداء قلبه وطنًا، وجعله له سكنًا، حيث قال:

تــزول الجبــال الراســيات وقلبــه عــلى العهــد لا يلــوي ولا يتغــير

وفي شرح لامية العجم.. للصفدي:

فالحب حيث العدا والأسد رابضةٌ حول الكناس لها غابٌ من الأسلِ

الحب بالضم: المحبة، وبالكسر: الحبيب نفسه. قال ابن الأنباري:

«الحِب هو الحبيب، يقال للمذكر والمؤنث بلفظ واحد». ويحكى عن بعض العرب أنهم يقولون: فلانة حِبَّتي.

عشق الشرف وعشق الجمال:

قال عروة بن الزبير رحمه الله: «ما عشقت من امرأة قط إلا حسن شرفها، فإني لأعشق الشرف كما أعشق الجمال».

وإنما أراد الحسب، وصراحة النسب، كما قال عبد الرحمن بن الحارث بن هشام: «ما عشقت من امرأة إلا حسبها».

وقال كُثَيِّرُ الشاعر:

وأنت التي حببت كل قصيرة إليَّ وما تدري بذاك القصائر

ولم يرد: القصيرة القدّ، وإنما أراد المقصورة في الجمال، من قولك: قصره، إذا حبسه.

والمقصورة هي: المحجوبة. ومنه قول الله تعالى: {حور مقصورات في الخيام} أي: محبوسات. وقوله تعالى: {فهين قاصرات الطرف} أي: قصرن نظرهن على أزواجهن فلا يبغين بهم بدلًا.

ويدل على مراد كُثَيِّر في بيته، قوله في البيت الذي بعده:

عنيتُ قصيرات الحجال ولم أرد قصار الخطا شر النساء البحاترُ

والبحاترُ: القصار.

أحلام المحبين:

كان أبو القاسم علي الشريف المرتضى شاعرًا عف اللسان، يهوى الحسن أينما وجده، وينحو فيه منحى طاهرًا بريئًا. واشتهر بحب الجمال العذري.. وقد عشق الأدب الرفيع، كما عُمّرَ فوق الثمانين عامًا، حيث ولد سنة ٣٥٥ وتوفي سنة ٤٣٦هـ، ومن شعره:

ضن عني بالنزر إذ أنا يقظا ... نُ وأعطى كثيره في المنام
والتقينا كما اشتهينا ولا عيـ ... ـبَ سوى أن ذاك في الأحلام
وإذا كانت الملاقاة ليلًا ... فالليالي خير من الأيام

وقال الشريف الرضي (أخوه) وكان شاعرًا مثله يتفق معه في هواه وحبه وعشقه للحُسن والجمال:

بتنا ضجيعين في ثوى هوى وتقى ... يلفنا الشوق من فرقٍ إلى قدمِ
وبات بارق ذاك الثغر يوضح لي ... مواقع اللثم في داجٍ من الظلم

الحبيب الأول والحبيب الآخر:

قال حبيب الطائي:

نقِّلْ فؤادك حيث شئت من الهوى ... ما الحبُّ إلا للحبيب الأول
كم منزلٍ في الأرض يألفه الفتى ... وحنينه أبدًا لأول منزل

وقد رد عليه شعراء آخرون. فمن ذلك قول بعضهم:

أفخر بآخر من كلفت بحبه ... لا خير في حب الحبيب الأول
أتشك في أن النبي محمدًا ... ساد البرية وهو آخر مُرسلِ؟!

ومنه قول ديك الجن الحمصي:

كـذب الـذين تحـدثوا أن الهـوى ... لا شـك فيـه للحبيـب الأولِ
مـا لم أحِـنَّ إلى خـراب مقفـرٍ ... درسـت معالمـه كـأن لم يُؤهـلِ

فقال حبيب (حين بلغه قول ديك الجن):

كـذب الـذين تحرصـوا في قـولهم ... مـا الحـب إلا للحبيـب الأولِ
أو طيـبٌ في الطعـم مـا قـد ذقتـه ... مـن مأكـل أو طعـم مـا لم يؤكـلِ

قال العلوي الأصبهاني[1]:

دع حـب أول مـن كلفـت بحبـه ... مـا الحـب إلا للحبيـب الأول
مـا قـد تـولى لا ارتجـاع لطيبـه ... هـل غائـب اللـذات مثـل الحـاضر؟
إن المـشيب وقـد وفى بمقامـه ... أوفى لـديّ مـن الـشباب الغـادر
دُنيـاك: يومـك دون أمـسك فـاعتبر ... مـا الـسالف المفقـود مثـل الغـابر

الحب مع اختلاف الدين:

قال أبو الطحان الأسدي، وكان نديمًا لناسٍ من النصارى:

كـأن لم يكـن في القـصر قـصر مقاتـلٍ ... وزورة ظـل نـاعم وصـديقُ
معـي كـل فـضفاضِ الثيـاب كأنـه ... إذا مـا جـرى فيـه المـدام فنيـقُ
وإني وإن كـانوا نـصارى أحـبهم ... ويرتـاح قلبـي نحـوهم ويتُـوقُ

وللشيخ رجب الحريري قصيدة يصف فيها حبه لفتى نصراني يقول فيها:

---

(١) في الصناعتين ص٣٣٤.

أرقُّ مـــن روح الـــصبا وأطيـــبُ كالمـــاء جـــسمًا باللحـــاظ يُـــشربُ
ولفظـــه الـــسحرُ الحـــلالُ يطـــربُ ســـكرتُ منـــه وهـــو شـــهدٌ يعـــذبُ
فاعجـــــب لـــــشهدٍ مُـــــسْكرٍ مـــــن ســـــحرِ
قابلتـــــه بأحـــــسن الكـــــلام مُرحبًـــــا مُعظـــــمًا مقـــــامي
ووجهـــه الوضـــاح في ابتـــسام وخـــصني بـــاللطف والإكـــرام
وبالجميـــــــــل والحيـــــــــا والبـــــــــشرِ

الحب في كل حال:

قال عنترة العبسي به يصف حبه لعبلة ابنة عمه، على ظلمها إياه:

أحبـــك يـــا ظلـــوم وأنـــت منـــي مكـــان الـــروح مـــن جـــسد الجبـــان
ولـــو أني أقـــول مكـــان روحـــي لخفـــت عليـــك بـــادرة الطعـــان

وقال بعضهم في الوداع:

ودعـــتهم مـــن حيـــث لم يعلمـــوا ورحـــت والقلـــب بهـــم مُغـــرمُ
ســـألتهم تـــسليمة مـــنهم عـــليَّ إذ راحـــوا فـــما ســـلموا
واستحـــسنوا ظلمـــي فمـــن أجلهـــم أحـــب قلبـــي كـــل مـــن يظلـــمُ

وقال دعبل الخزاعي:

وقف الهوى بي حيث أنت فليس لي متـــأخرٌ عنـــه ولا مُتقـــدمُ
أجـــدُ الملامـــة في هـــواك لذيـــذةً حبًّـــا لـــذكرك فليلمنـــي اللـــومُ
وأهنتنـــي فأهنـــتُ نفـــسي صـــاغرًا مـــا مـــن يهـــون عليـــك ممـــن يُكـــرمُ

حب النساء:

قال الزبير بن بكار في أنساب قريش[1]: كان (نُبَيْهٌ وأخوه منبّه) من وجوه قريش، وذوي النباهة فيهم، ولكنهما قُتِلا (ببدرٍ) كافرين، وكانا من المطعمين يوم بدرٍ.

لقد كان (نُبيه) بضم النون وفتح الموحدة بعدها (ياء) ساكنة (فهاء)، وكنيته (أبو الزرام) بتشديد الزاي المعجمة، ابن الحجاج بن عامر بن حذيفة بن سعيد بن سهم بن عمر بن هُصيص (بالتصغير) ابن كسب بن لؤي بن غالب. وكان نُبيه شاعرًا مطبوعا على الإجادة، وقد قيل: إن زيد بن عمرو بن نفيل كان يقول:

تلـك عرسـاي تنطقـان بهجـرٍ ... وتقـولان قـول أثـرٍ وعـترِ

فقال نُبيه من القافية نفسها في زوجتيه وقد سألتاه الطلاق:

تلـك عرسـاي تنطقـان عـلى عمـ ... ـدٍ أن اليـوم قـول زورٍ وهـترِ
سـألتاني الطـلاق أن رأتـا مـا ... لي قلـيلًا قـد جئـتماني بِنُكـرِ
فلعـلي أن يكثـر المـال عنـدي ... ويعـرى مـن المغـارم ظهـري
وتـرى أعبـدٌ لنـا وأواقٍ ... ومناصـيفُ مـن خـوادم عـشرِ
ونجـر الأذيـال في نعمـةٍ ثـم ... تقـولان: ضـع عـصاك لـدهر
ويُكـأن مـن يكـن لـه نـشبٌ ... يُحبب ومـن يفتقـر يعـش عـيش ضرٍّ
ويجنـب سر النجـي ولكـن ... أخـا المـال مُحـضرٌ كـل سر

(١) في خزانة الأدب ج٣.

ومن شعره:

قصر الشيء بي ولو كنت ذا ما ... ل كثير لأجلب الناس حولي
ولقالوا: أنت الكريم علينا ... ولحطوا إلى هواي وميلي
ولكلت المعروف كيلًا هنيئا ... يعجز الناس أن يكيلوا ككيلي

وله أيضًا:

قالت سُليمى يوم جئت أزورها ... لا أبتغي إلا امرأ ذا مال
لا أبتغي إلا امرأ ذا أنضر ... كيما أسد مفارقي وخلالي
فلأحرصن على اكتساب مُحبب ... ولأكسبن في عفةٍ وجمال

في خلاصة الأثر جـ٢:

كان الأديب حسين بن أحمد بن حسين المعروف (بابن الجزري) الشاعر المشهور الحلبي أحد المجيدين، جمع شعره بين الصناعة والرقة، كان إذا تكلم لا يظنه الإنسان يعرف شيئًا، وكان له خطٌّ نسخي غاية في الحسن إلا أنه كان شديد الأخلاق أحيانًا، وكان مغرمًا بشعر أبي العلاء المعري، كثير الأخذ منه، وأخيرًا رآه في منامه وقرأ عليه اللزوميات، وسمعه يقرر في تلك الرؤيا: أن الخير كل الخير فيما أكرهتك النفس الطبيعية عليه، والشر كل الشر فيما أكرهتك النفس عليه.

ومن شعر ابن الجزري:

إن كنت متخذًا لجرحك مرهمًا ... فكتابُ رب العالمين المرهمُ
أو كنت مصطحبًا حبيبًا سالكًا ... سُبل الهوى فلزوم ما لا يلزمُ

ومن شعره في الغزل:

ما عشتُ من ألم الفراق ... لو لم أطل أمل التلاقي
فأظل كالملسوع من ... أفعى النوى ورجاي راقي
يا ثالث القمرين إلا ... في الكسوف وفي المحاق
حتام دمعي فيك لا ... يرقا وروحي في التراقي
وإلام يستسقى الفؤا ... د ظما وأجفاني سواقي
وغريق دمع العين لا ... تلقاه إلا في احتراق
والحب ما أروى الضلو ... ع جوًى وما أروى المآقي
فعساك أن تجزي مجيبـ ... ـك المحبة بالوفاق
ولقد لقيت هواك أعـ ... ـظم ما لقيتُ وما ألاقي
وصبرتُ فيك على العدا ... صبر الأسير على الوثاق
وعلمتُ أن الصبر يا ... عذب اللمى مر المذاق
فاعرض عن الأعراض إعـ ... ـراضي لديك عن النفاق
وارفق ولو بالالتفا ... ت على ما بين الرفاق
فلقد يكون تلفت الأ ... عناق داعية العناق
واستبق مني باللقا ... ء بواقيا ليست بواقي
أعضاء صب ماله ... إلاك من عينيك زاقي
فالبيض سود عيونها ... أمضى من البيض الرقاق
وقدودهن رواشقٌ ... في الطعن كالسمر الرشاق
وإذا بُليت بهن ... بُليت بالدمع المراقِ

ومن جيد شعره قوله:

نتفداك ساقيًا قد كساك الـ ـحُسنُ من فرقك المضيء لساقك
تُشرقُ الشمس من يديك ومن فيـ ـك الثريا والبدر من أطواقك
أوليس العجيب كونك بدرًا كاملًا والمحاق من عشاقك
فتنةٌ أنت إذ تُميتُ وتُحيي بتلاقيك من تشا وفراقك
لست من هذه الخليقة بل أنـ ـت مليكٌ أرسلت من خلاقك

الحب خضوع النفس:

وكان حاتم بن أحمد بن موسى بن أبي القاسم بن محمد بن أبي بكر بن أحمد بن عمر الأهدل اليمني الحسيني مشهودًا له بتحصيل أنواع العلوم والمعارف، والنظم والنثر، وقد رحل إلى كثير من البلدان، وأقام بالحرمين، ثم توطن المخا، وحصل له بها شأن عظيم يغبطه عليه صفوة أصحابه وأترابه، إذ كان له يد طولى في العلوم الشرعية والفنون العربية، إلا أنه غلب عليه التصوف، كما كان متقنًا لعلم الأسماء والحروف ودوائر الأولياء، حتى إنه كان زاهدًا في الدنيا، ومن شعره قوله مشطرًا فائية ابن الفارض:

قلبي يُحدثني بأنك مُتلفي عجل به ولك البقا وتصرف
قد قلت حين جهلتني وعرفتني روحي فداك عرفت أم لم تعرف
أنت القتيل بأي من أحببته فلك السعادة في الشهادة يا وفي
ولقد وصفت لك الغرام وأهله فاختر لنفسك في الهوى من تصطفي

وقال مخمسًا قصيدة ابن النبيه:

رقم العذول زخارفًا وتصنعًا وأشاع نقض العهد عنك وشفعا
فأجبته والنفس تقطر أدمعًا أفديه إن حفظ الهوى أو ضيعا

ملـــــك الفـــــؤاد فـــــما عـــــسى أن أصـــــنعا
حكـم الغـرام فلـذ بـه وبحكمـه واثبت على مفروض واجب رسمه
واخـضع لعـدل الحـب فيـه وظلمـه من لم يـذق ظلـم الحبيب كظلمـه
حلـــــوا فقـــــد جهـــــل المحبـــــة وادعـــــى
يـا مـن بلطـف جمالـه قلبي اقتـنص صبري عـلى الأعتـاب مـن جلـدي
وثبـــــات حمـــــلي حـــــين زمـــــزمتم رقـــــص
يا صاحب الوجه الجميل تدارك الصـ ـبر الجميـل فقـد عفـا وتضعـضعا
وفـرت مـن نبـل اللـواحظ أسـهمي وكلمـت أحـشائي ولم أتكلـم
وهجرتنـي ظلـمًا ولم أتظلـم هـل في فـؤادك رحمـةٌ لمُتـيم
ضـــــمت جوانحـــــه فـــــؤادًا موجعـــــا
إني اعترفـت بزلتـي وجنـايتي ورضـاك مقـصودي وغايـة غـايتي
يـا مـن ضـلالي فيـه عـين هـدايتي هـل مـن سـبيل أن أبُـث صـبابتي
أو أشـــــتكي بلـــــواي أو أتـــــضرعا؟
لي في حمـاك مـسارح ومطـامح كـم بـت للغـزلان فيـه أطـارحُ
يـا قلـبُ إن اليـوم طيبـك نـازحُ يـا عـين عُـذرك أن حُبـي واضـحُ
كـــــلي لفرقتـــــه أراد وأزمعـــــا

أشقى الناس أهواها:

زين الدين أحمد بن علي بن الحسين بن علي الشافعي الحلبي، ولد بحلب ونشأ بها وكان له مذاكرة تأخذ بُلب الصاحب ومحاضرات تُرغب من محاضرات الراغب، وله شعر قصير منه قوله:

كتبت وأفكاري بحبك مُزقت ... كما قد بدت في الحب كل ممزق
ولو حُم لي التوفيق كنت تركته ... ولكنني أصبحتُ غير مُوفق
إذا قيل أشقى الناس من بات ذا هوى ... فلا تنكرن هذا المقال وصدق

وقال متغزلًا:

سألتها عن فؤادي أين مسكنه ... فإنه ضل عني عند مسراها
قالت: لدي قلوب جمةٌ جمعت ... فأيها أنت تبغي؟ قلتُ: أشقاها

رابعة العدوية:

روى ابن خلكان قصة (رابعة العدوية) شهيدة الحب الإلهي، قال:

كانت أم الخير رابعة بنت إسماعيل العدوية البصرية، مولاة آل عتيك، من أعيان عصرها، وأخبارها في الصلاح والعبادة مشهورة.

وذكر أبو القاسم القشيري في «الرسالة» أنها كانت تقول في مناجاتها: إلهي.. أتحرقُ بالنار قلبًا يحبك؟... فهتف بها مرة هاتفٌ: ما كنا نفعل هذا فلا تظني بنا ظن السوء!

وكان سفيان الثوري عندها يومًا، فقال: واحزناه! فقالت له: «لا تكذب، بل قل: واقلة حُزناه! لو كنت محزونًا لم يتهيأ لك أن تتنفس».

وقال بعضهم: كنت أدعو لرابعة العدوية، فرأيتها في المنام تقول: هداياك تأتينا على أطباق من نور مخمرة بمناديل من نور.

وكانت تقول: ما ظهر من أعمالي فلا أعده شيئًا.

ومن وصاياها: اكتموا حسناتكم كما تكتمون سيئاتكم.

وأورد لها الشيخ شهاب الدين السهروردي في كتاب «عوارف المعارف» قولها:

إني جعلتـــك في الفـــؤاد محـــدثي ... وأبحـثُ جسمي مـن أراد جلـوسي
فالجـسم منـي للجلـيس مـؤانسٌ ... وحبيـب قلبـي في الفـؤاد أنيـسي

الحب أحسن المعاصي:

في «لوعة الشاكي ودمعة الباكي» لابن الصفدي:

انتصف الليل، وأقبلت عساكر السعد بالرجْل والنخيل، فأمرت صاحبي برفع المدام، وتجهيز المرقد للمنام، فرفع الأواني في الحال، وأقبل على ذلك الشأن وطال، وعلق في المرقد نفحات المسك الأذفر، وأطلق فيه مباخر الند والعبر. ثم قال: أين ترسم لي أن أبيت؟ فقلت: نم عندنا لكن خارج البيت، فأنت ممن تحققنا منه المروءة والشفقة، فاخرج عنا ورد الباب بالحلقة. ففعل ما أمرناه وخرج، ولم يبق في الصدر هم ولا حرج، فقلت لمحبوبي: أما تقوم بنا لننام، وأتنعم بتقبيل الثغر واعتناق القوام، فقال لي: أقوم ولكن العناق حرام، فقلت: في عنقي تكون الأوزار والآثام:

فقـام يـنهض والـصهباءُ تُقعـدهُ ... سُكرًا وحاول أن يسعى فلم يُطِقِ
وقـال لي بفتـورٍ مـن لواحظـه ... إن العنـاق حـرامٌ قلـتُ في عُنُقـي

فقال: استغفر الله من الفجور واللغط، ومن وقوعك أيها الإنسان في الغلط.

فقلت: لا تظن أن محبتك من المعاصي والسيئات، واعلم أن هواك من أفضل الفضائل وأحسن القربات.

أستغفر الله إلا من محبتكم ... فإنها حسناتي يوم ألقاه
فإن زعمتم بأن الحب معصيةٌ ... فالحب أحسنُ ما يُعصى به الله

الهوى قدرٌ:

أخبرنا أبو الحسن علي بن سليمان الأخفش، قال: أخبرنا أبو العباس محمد بن يزيد المُبرد، قال: سألت أبا الفضل الرياشي عن معنى قول الشاعر:

الريح تبكي شجوها ... والبرقُ يلمعُ في الغمامة

فقال: هو عندي كقولهم: ويل للشجى من الخليّ. ومعناه: إن البرق يضحك والريح تبكي.

وذهب بعضهم إلى أن المعنى أن الريح تبكي شجوها، والبرق يبكي أيضًا وهو يلمع في الغمامة.

وأنشدنا أبو بكر الأصبهاني لنفسه:

إلا تكن في الهوى أرويت من ظمأ ... ولا فككت من الأغلال مأسورا
لقد دللت على أن الهوى بدلٌ ... من أجل ما كان مرجوًّا ومحذورا
فحسبُ نفسي غنًى علمي بموضعها ... من الهوى وبأني كنت معذورا

وأنت خالٍ وقلبي ذا الذي ملكتْ ... هواه نفسك إكراهًا وتخييرا
إني وغلةُ نفسي فيك قائمةٌ ... لم تلق مُذ ألفتك النفس تغييرا
ولم يكن باختيارٍ لي فأتركه ... ولا اضطرارٍ أتاه القلبُ مقهورا
لكنه من أمور الله مُمتنعٌ ... في الوصف قدره الرحمن تقديرا
لن يضبط العقل إلا من يدبره ... ولن ترى للهوى في العقل تدبيرا
كن محسنًا أو مسيئًا وابق لي أبدًا ... تكن لدي على الحالين مشكورا

وأنشدنا لنفسه في مثل هذا:

فإن تكن القلوب إذا تُجازى ... وتسلكُ في الهوى سننًا سويا
فمالي أهون الثقلين جمعًا ... عليك وأنت أكرمهم عليا؟
عمدتُ سنين أستخفي النصابي ... ولا أرضى من الوصل الرضيا
فلم تُقلع صروف الدهر حتى ... خسست عن أن أحيى أو أحيا
تبغض ما استطعت وعش سليمًا ... فأنت أحب مخلوقٍ إليا

وأنشدنا أبو إسحاق الزجاج قال: أنشدنا أبو العباس محمد بن يزيد:

يأيها الراكب الغادي لطيته ... عرج أُنبئك عن بعض الذي أجد
ما عالج الناس من وجدٍ ألم بهم ... إلا وجدت به فوق الذي وجدوا
حسبي رضاه، وأني في محبته ... ووده آخر الأيام أجتهدُ

وأنشد سليمان بن عبد الله بن طاهر لأبيه:

ألا إنما الإنسان غمدٌ لقلبه ... ولا خير في غمدٍ إذا لم يسكُنْ نصلُ
فإن كان للإنسان قلبٌ فقلبهُ ... هو النصلُ والإنسان من بعده فضلُ